

المحاضرة الأولى: مدخل إلى تفسير آيات الأحكام

أولاً: معنى تفسير آيات الأحكام

تفسير آيات الأحكام وهو التفسير الذي اعتنى فيه أهله بتفسير الآيات ذات الدلالات الفقهية الظاهرة والمستنبطة ، وكان يسمى قديماً علم أحكام القرآن، وقد عرفه بعض المعاصرين بقوله هو التفسير الذي يُعنى ببيان الأحكام الفقهية، والتنبيه عليها، سواء بالاختصار عليها، أو العناية الخاصة بها⁽¹⁾. ولعله أضاف الجملة الأخيرة لأن بعض المؤلفات فسرت كل القرآن كتفسير القرطبي. ومنهم من لاحظ أن المفسرين مع تركيزهم على الأحكام الفقهية لم يهتموا بالأحكام الاعتقادية والأخلاقية فنبه أن لفظ الأحكام هي الأحكام الشرعية وهي أعم من الأحكام الفقهية.

ثانياً : عدد آيات الأحكام

ذهب كثير من علماء الأصول إلى حد آيات الأحكام التي ينبغي على المجتهد حفظها والإحاطة بها بخمسة مائة آية⁽²⁾، ومن المتأخرين من قال بل هي مائة آية فقط⁽³⁾. وقيل: هي مائة وخمسون آية فقط⁽⁴⁾. ومرادهم بلا ريب عد الآيات التي قصد منها تشريع الأحكام بطريق النص الصريح ، دون آيات القصص والأمثال وغيرها التي تضمنت أحكاماً بدلالة الإشارة والتنبيه⁽⁵⁾.

ولذلك ذهب علماء آخرون إلى انتقاد هذا الرأي وقالوا إن آيات الأحكام غير محدودة العدد، فكل آية في القرآن قد يُستنبط منها حكمٌ معين⁽⁶⁾، ومَرَدُّ التفاوت إلى ما يفتححه الله على العالم من معاني القرآن ودلالاته، وما يتميز به العالم من صفاء الروح، وقوة الاستنباط، وجودة الذهن وسيلانه⁽⁷⁾. قال القرطبي: "فلا تكاد تجد آية إلا وفيها حكم، وحصرها في خمسمائة آية بعيد"⁽⁸⁾. وقال الطوفي: « الصحيح أن هذا التقدير غيرٌ معتبر، وأن مقدار أدلة الأحكام في ذلك غير منحصر؛ فإن أحكام الشرع كما تُستنبط من الأوامر، والنواهي؛ كذلك تُستنبط من الأقسام، والمواعظ، ونحوها، فقلَّ آية في القرآن الكريم، إلا ويُستنبط منها شيء من الأحكام، وإذا أردت تحقيق هذا ؛ فانظر إلى كتاب أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكأن هؤلاء (الذين حصرها في خمس مائة آية) إنما نظروا إلى ما قصد منه بيان الحكم دون ما استُفيد منه، ولم يُقصد به بيانها"⁽⁹⁾.

ثالثاً : أهداف دراسة آيات الأحكام

- 1- ضبط النصوص القرآنية المتعلقة بالأحكام، وقد شرط العلماء معرفتها لمن يريد بلوغ مرتبة الاجتهاد.
- 2- معرفة أدلة الأحكام الفقهية، حيث إن كتب الفقه المذهبية المدرسية خالية من الأدلة في أغلب الأحيان.
- 3- تمكين الطلاب من تطبيق قواعد الاستدلال المدروسة في علم الأصول على النصوص الشرعية، مما ينمي لديهم الملكة الفقهية، ويؤهلهم مع طول الزمن للنظر الاجتهادي.
- 4- تدريب الطلاب على المناقشة والترجيح والاختيار بين الأقوال بدون تعصب لمذهب في مسائل الخلاف.
- 5- ربط الطلاب بالقرآن الكريم والدعوة إلى العودة للقرآن في استنباط الأحكام وفي سائر شؤون الحياة.

^{1/} آيات الأحكام في المعنى، لفهد العندس (22/1)-رسالة جامعية-.

^{2/} ممن قال بهذا القول الغزالي في المستصفى (6/4)، وتبعه أكثر الأصوليين .

^{3/} ممن قال بهذا الصنعاني وصديق حسن خان والحضري بك في تاريخ التشريع (34).

^{4/} الفكر السامي للحجوي (25/1).

^{5/} انظر البرهان للزركشي (4-3/2).

^{6/} وهو قول ابن العربي والعزّ بن عبد السلام، والقرطبي، والطوفي، والزركشي، وابن جزي، والسيوطي، وابن النجار، والشوكاني، وغيرهم .

^{7/} ينظر التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (390/3).

^{8/} شرح التنقيح للقرطبي (ص/476).

^{9/} شرح مختصر الروضة للطوفي (415/3).

رابعاً : خطوات تفسير آيات الأحكام

من أحسن ما ألف في العصر الحاضر في تفسير آيات الأحكام روائع البيان لمحمد علي الصابوني ، وقد سار في كتابه هذا على طريقة مبتكرة لم يسبق إليها حيث قسم دراسة الآية إلى عشرة عناصر:

- 1- التحليل اللفظي مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة
- 2- المعنى الإجمالي للآيات بشكل مقتضب.
- 3- سبب النزول إن كانت للآية سبب نزول.
- 4- وجه الارتباط بين الآيات السابقة واللاحقة
- 5- البحث عن وجوه القراءات المتواترة.
- 6- البحث عن وجوه الإعراب بإيجاز.
- 7- لطائف التفسير وتشمل على النكت البلاغية والدقائق العلمية. 8- الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء مع المناقشة والترجيح.
- 9- ما ترشد إليه الآيات باختصار.
- 10- الخاتمة وتشتمل على حكمة التشريع في الآيات.

وقد انتقد في طريقته من عدة وجوه أبرزها :

- 1- أنه أكثر من المباحث التي لا علاقة لها بالأحكام كاللطائف البلاغية والإعراب وما ترشد إليه الآيات.
 - 2- أنه توسع كثيراً في مناقشة الأحكام الفقهية حتى خرج إلى طريقة الفقه المقارن.
 - 3- أنه لم يتطرق إلى النوازل من المسائل واكتفى بنقل ما دونه العلماء المتقدمون.
- وعلى ضوء هذه الانتقادات وبناء على بعض الدراسات المنهجية في هذا الباب وتحكيماً لأهداف دراسة آيات الأحكام يمكن أن نقترح خطة متوسطة في دراسة آيات الأحكام ، حيث ينقل من التفاسير ما له الصلة المباشرة بفهم الآية ويخدم التفسير الفقهي .

المبحث الأول : مقدمات الدراسة وفيه أربعة مطالب :

- 1- سبب النزول الآية أو الآيات 2- مناسبتها لما قبلها وما بعدها 3- تفسير غريبها 4- المعنى الإجمالي لها .
- المبحث الثاني :** الأحكام المستنبطة ويذكر كل حكم في مطلب خاص،- مع الحرص على إيجاد شيء من النوازل- ويذكر في الخاتمة الحكم والعلل التشريعية للأحكام المستفادة.

ولابد من الاقتصار في المسائل على ما له صلة مباشرة بألفاظ القرآن الكريم واستبعاد المسائل التي ذكرها بعض المفسرين استطراداً من مسائل الفقه، وكذلك لابد من التقييد بالمنهج الذي سار عليه المفسرون من الإشارة إلى الخلاف دون توسع في الاستدلال والمناقشة لأن محل ذلك كتب (الفقه المقارن). ويذكر الاستدلال سواء كان صواباً أو خطأً في نظر الباحث فإذا كان صواباً بين وجهه ، وإذا كان خطأً بين وجه الاستدلال عند المستدل ثم أعقبه بذكر الدليل المانع والمعارض الأقوى .

المؤلفات في أحكام القرآن

أوائل المؤلفات

- تفسير الخمسمائة آية في القرآن لمقاتل بن سليمان الخراساني (ت:150) مخطوط حقق⁽¹⁰⁾.
- أحكام القرآن ليحيى بن زكريا بن سليمان القرشي الكوفي (ت:203) ذكره ابن النديم في الفهرست.
- مجرد أحكام القرآن ليحيى بن آدم الكوفي (ت:203) ذكره ابن النديم في الفهرست.
- أحكام القرآن للشافعي (ت:204) ضاع قديماً فحاول البيهقي جمعه من مؤلفات الشافعي في كتاب هو مطبوع.

¹⁰ مخطوطه محفوظ في المتحف البريطاني وقد حقق في رسالة جامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة وهو مرتب على أبواب الفقه.

أشهر مصنفات الحنفية

- 1- أحكام القرآن لأحمد بن عمر بن مهير الخصاف الشيباني الحنفي (261) ذكره في الطبقات السننية (428/1).
- 2- أحكام القرآن لعلي بن موسى القمي النيسابوري الحنفي (305) ذكره السير (236/14)
- 3- أحكام القرآن لأبي جعفر الطحاوي (ت: 321) وهو مطبوع.
- 4- أحكام القرآن لأبي بكر الرازي المعروف بالخصائص (ت: 370) وهو مطبوع.

أشهر مصنفات الشافعية

- 1- أحكام القرآن لإبراهيم بن خالد أبو ثور البغدادي (ت: 240) ذكره في الفهرست (41)
- 2- ألف أبو الحسن الطبري المعروف إلكيا الهراسي (ت: 504) وهو مطبوع.
- 3- الإحكام لبيان ما في آي القرآن من الأحكام لابن حجر (ت: 851).
- 4- الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (ت: 911) وهو مطبوع

أشهر مصنفات المالكية

- أحكام القرآن لأحمد بن المعذل بن غيلان البصري (ت: 240) ذكره في الفهرست.
- أحكام القرآن لمحمد بن سحنون التنوخي (ت: 256) ذكره في ترتيب المدارك (207/4)
- أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت: 268) ذكره في تذكرة الحفاظ (547/2)
- أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت: 282) طبع جزء منه .
- أحكام القرآن لابن العربي (ت: 543) وله الأحكام الصغرى كلاهما مطبوع.
- أحكام القرآن لابن الفرس الأندلسي (597) وهو مطبوع.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي (ت: 671) وهو مطبوع.

أشهر مصنفات الحنابلة

- تفسير أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقى (ت: 334) ذكره طاش كبرى زادة.
- أحكام القرآن لأبي يعلى الحنبلي (ت: 450) ذكره ابنه في طبقات الحنابلة

أشهر مصنفات الظاهرية

- أحكام القرآن لداود بن علي الأصفهاني (ت: 270) ذكره في الفهرست.
- أحكام القرآن لعبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الداودي (ت: 324) ذكره في الفهرست.

أشهر التأليف المتأخرة والمعاصرة

- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لصديق حسن خان (ت: 1307)
- تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السائيس
- روائع البيان لمحمد علي الصابوني
- تفسير آيات الأحكام للدكتور القصبي محمود زلط
- تفسير آيات الأحكام لمناع خليل القطان
- آيات الأحكام لعبد القادر شيبية الحمد
- الإمام ببعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطاً لمحمد بن صالح العثيمين